

المحاضرة الثالثة

الشعر الجزائري باللسان الفرنسي

كل المغاربة (شعوب المغرب العربي) يعتبرون الكتابة باللغة الفرنسية إشكالية في تاريخ أدبهم المغربي، فاللغة الفرنسية لغة فرنسا المحتلة لغير واحدة من هذه الدول فضلا عن أن تمدد احتلالها احتوى العديد من من دول افريقيا، وفي غير قارة واحدة، لكن لغتها باتت على الأقل وفي الوقت نفسه لغة مقاومة لهذا المحتل، وهذه مفارقة.

لم تعرف الجزائر أدبا بغير اللغة العربية إلا بعد رحيل الأتراك عنها، وهي ظاهرة تستدعي الكثير من التأويل، لذلك تعتبر الآثار الأدبية المتعددة للأدب الجزائري باللسان الفرنسي بصفة عامة مرتبط بالاحتلال الفرنسي، ولا يزال الحديث دائرا بين الباحثين في العالم حول هوية هذا الأدب إذ هناك من يعتبره جزءا من هوية البلد الأصلي في حين هناك من يرفض هذا ويراه أدبا استعماريًا احتلاليًا لا علاقة له بالجزائر التي تعرضت لغتها لمدة قرن وثلاثين حولًا لأبشع ممارسات التضييق بل الخنق، والحقيقة أن هذه ظاهرة عالمية تحتاج إلى التروي في الحكم عليها وذلك لأنها تحمل العديد من التداخل في المفاهيم والمصطلحات، وقد دار منذ زمن جدال في هذه المسألة ولم ينته بعد، بل ولا يزال قائما في الجزائر بين باحثيها وهو على الشاكلة التي قدمنا.

اهتم الباحثون الجزائريون بعد الاستقلال بهذه الظاهرة الأدبية وأفردوا لها دراسات عديدة ظهرت في أشكال مختلفة منها: المقال العلمي ومذكرات التخرج ومؤلفات، وكونت في عمومها إتجاهين مختلفين:

اتجاه يعد الأدب المكتوب باللغة الفرنسية أدبا فرنسيا، حسب مدرسة الأدب المقارن الفرنسية، واتجاه عدّه أدبا جزائريا وطنيا بامتياز لا اعتبار الروح التي يحملها وذلك وفق مدرسة الأدب المقارن الأمريكية، أما النقاد العرب فقد اعتبروا أدباء الجزائر باللسان الفرنسي " ضحايا الاستعمار فهم يعبرون بقلب عربي وبربري وقلم فرنسي" ومن المؤلفات الجيدة في هذا السياق كتاب أحمد منور المعنون الأدب الجزائري باللسان الفرنسي – نشأته وتطوره وقضاياها ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2007.

يعد الأدب الجزائري باللسان الفرنسي من التراث الجزائري في مرحلة مهمة جدا وشاذة كما أشار إلى ذلك أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الثامن، وقد أصيب جيل من الجزائريين بلوثة لغوية في لسانه حولته إلى في كثير من

الأحيان ناطقا ثقافيا بلسان محتل أرضه، هذ الجيل؛ وقع فريسة للمدرسة الفرنسية الاستعمارية التي لم تتردد يوما في تحويل تراثه إلى تراثها، وإلى عالمها، وذا الجيل أيضا مظلوم حسب رأي أحمد منور في كتابه الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه " والحق أن كتاب هذه الفترة مظلومون أشد الظلم ولا أبالغ في شيء إن قلت إنهم بالرغم من اندماجيتهم التي لم يتعلقوا بهافي حقيقة الأمر إلا حرصا على فكرة المساواة بين المستوطنين والجزائريين، قد دافعوا أحسن دفاع وعبروا أصدق تعبير عن هوية الشعب الجزائري وعن كيانه ووجوده وعن حقه في تعلم لغته وصيانة دينه والحفاظ على مقوماته الأساسية ، ولا أعتقد أن أحد من كتاب الفترة اللاحقة قد عبروا عن الهوية الجزائرية بشكل أفضل منهم " .

أراء بعض النقاد في الأدب الجزائري باللغة الفرنسية

إليك أيها الطالب بعض الأقوال لباحثين جزائريين حول إشكالية الأدب الجزائري باللغة الفرنسية تبين مدى التقارب والاختلاف حول هذه الظاهرة التي أسالت أقالما وميزت حتى الانطلاقات الفكرية والتراثية للكثير من الطبقة المثقفة في الجزائر قبل وبعد الاستقلال.

أحمد بن نعمان

" قبل طرح إشكالية جنسية الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، و قبل الخوض في الموضوع، يجدر بنا الإشارة إلى الأسباب التي أدت إلى الإزدواجية اللغوية في الجزائر، و تمثلت في عدة عوامل من بينها التاريخية والثقافية والإجتماعية خلفتها بالدرجة الأولى المرحلة الإستعمارية التي حاولت طمس الشخصية الوطنية عن طريق محاربة اللغة العربية" .

عبد الملك مرتاض

" كل هذه العوامل وغيرها أسهمت في خلق الإزدواجية اللغوية وتنميتها مما أوجد جيلا من الكتاب الجزائريين، يكتبون بلسان وقلم أجنبيين بالضرورة لعدم انتباههم لهذه الظاهرة بسبب سيادة اللغة الفرنسية، مما أدى بأحد الباحثين إلى القول : "وقد ظل هؤلاء الكتاب في معظمهم معجبين كل الإعجاب بالحضارة الفرنسية، بوجه خاص، والحضارة الغربية بوجه عام، جاهلين بالتاريخ العربي غير ملمين بمعالم الحضارة الإسلامية، إذ أنى لهم أن يدركوا شيئا من ذلك وهم محرومون من الإلمام الكافي بلغتهم التي بواسطتها يطلعون على التراث العربي وكنوز حضارته الغنية بمعطياتها الإنسانية إطلاعا حقيقيا خاليا من الشوائب و الشرور".

عبد الركيبي

" إضافة إلى ذلك، فتأخر الثقافة العربية في الجزائر، أوجد تخلفا في اللغة العربية، مما أوجد فجوة كبيرة في الحصول على أسلوب لغوي روائي مرن - في الأدب الجزائري بعامته، والقصصي بخاصة- فكان من البديهي أن يلجأ الكتاب الجزائريون إلى استخدام الأداة الأجنبية لملء الفراغ، فساهموا بطريقة غير مباشرة في تطور الفن الروائي نسبيا "

أبو القاسم سعد الله

" وتأسيسا على ما سبق نجد بعضهم من يعترف بعروبة هذا الأدب وانتمائه الوطني الجزائري على الرغم مما يحمله من ثقافة غربية، ومن تدوين لغوي أجنبي، وبعضهم من تبنى في تحديد هوية هذا الأدب، رأي الناقد الفرنسي كلود مانيفي كون هذا الأدب يعيش عصر القصة الأمريكية باعتبار أن الظروف التي أفرزت أدبا قوميا في أمريكا - الذي كان محل إعراف - هي الظروف نفسها التي يمر بها أدب شمال إفريقيا - المكتوب باللغة الفرنسية- كما أنه يحمل الشخصية والروح الوطنيتين في دفاع هؤلاء الكتاب عن ماض وتقاليد جزائرية خاصة. ومما يزيد لهذا الرأي تأييدا، التصريح القائل بوجوب "الإعتراف بشخصية المغرب العربي، ولا شك أن الأدب الجديد في إفريقيا الشمالية يعطي سببا واضحا لهذا الإعتراف"

عبد الله الركيبي

" وعلى ضوء ما سبق، نجد عبد الله الركيبي يقف الموقف نفسه من هذا الأدب - المكتوب باللغة الفرنسية - مصرحا : " وجملة القول فإن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، قد أوجد لظروف وأسباب في مرحلة معينة، وهو إن كتب بلغة أجنبية، فإنه عبر عن مضمون جزائري وواقع وطني الأمر الذي يجعل منه أدبا محليا وطنيا"

عبد الملك مراض

" فإذا كان هذا القبول متأتيا من أحد الأدباء الجزائريين المدافعين بحماس عن عروبة الجزائر، وضرورة الأخذ بالإعتبار هذه النصوص المكتوبة باللغة الفرنسية، فمن الغرابة بمكان أن يكون الرأي نقيضه صادرا عن دارس يحمل لواء العروبة نفسه مبررا موقفه بضرورة اعتماد هذه النصوص للحرف العربي، ومن بينهم أحد الدارسين الجزائريين الذي صرح قائلا : "إن هذا الأدب غريب في نفسه، ومنفي عن موطنه الذي كتب فيه، ولم يستطع أن يلعب دورا كبيرا في نهضة الأدب المعاصر

بالجزائر فضلا عن أن يلعب دورا خطيرا في إنكاء نار الثورة التي قيضت للشعب الجزائري أن يكسر قيود الإستعمار الثقيل" .

واسيني الأعرج

" ومواكبة منا لما سبق نجد أن كثيرا من الدارسين، والباحثين قد جاروا في رأيهم بالإنتساب الوطني لهذا الأدب - الباحث أبو القاسم سعد الله - في ضرورة التعامل مع هذه النصوص تعاملًا موضوعيًا"

عبد المعطي حجازي

" الأدب لا ينسب للغة التي يكتب بها عندما تقول رواية مكتوبة بالفرنسية هي فرنسية يكتبها جزائري... مقدما فيها رؤيته للعالم نعم ولكنها فرنسية، مثل تماما الشعر العربي نصفه كتبه فرس ولكنه عربي بلغته، ومتى تصبح جزائرية إلا بعد أن تصبح الفرنسية لغة وطنية، المستقبل كما هو واضح بالعربية، وبالرغم من أن الفرنسية لغة نافذة على اللغة العالمية...".

والخلاصة في اعتقادنا أنه مع ذلك فقد أدى تراث هذه الفئة ما عليه من أدوار في الثقافة والسياسة الداخلية والخارجية للجزائر المحتلة، ولكنه سرعان ما بدأ ينقرض مع أول خطوة خطاها حين غادر هذا المحتل أرض الجزائر.

مراحل تأثر الأدب الجزائري باللسان الفرنسي وتطوره

هناك ثلاث مراحل على الأقل كما يراها أبو القاسم سعد الله تبين تلك المحطات التي مر بها الأدب الجزائري باللغة الفرنسية وهي:

المرحلة الأولى من 1830 إلى 1880 وفيها يخلوا أدب الجزائر من أثر اللغة الفرنسية، وفيها لا نجد تأليفا في جميع ميادين الأدب المتعددة وما وجد كان مترجما مثل المرأة لحكدان خوجة ومذكرات بوضربة في هذه الفترة التي نصف قرن جهل الجزائري لغته وامتنع عن تعلم الفرنسية

المرحلة الثانية من 1880 إلى غاية 1920 وفيها ظهرت الكتابة وظهر المؤلفون وكتبوا المقالات والعرائض وبعض الكتب والدراسات ولكن لم تعرف النتاج الأدبي والإبداعي باللسان الفرنسي وربما يرجع ذلك إلى ظهور مدارس ثلاث في القطر الجزائري وهي المدرسة السلطاني في الجزائر ومثيلاتها في كل من قسنطينة ووهران

المرحلة الثالثة من 1920 إلى 1950 وخلالها انتشر التعليم الفرنسي والعربي وعم البلاد كلها لكن التعليم بالمدرسة الفرنسية كان مقتصرًا على فئة محددة من الطلاب الجزائريين هم أبناء المسؤولين والقياد والمقربين من السلطة الفرنسية، ومن روادها فرحات عباس والزنتاتي والفاصي ومالك بن نبي وعبد الرحمن الحفاف وعمار أوزقان وفي هذه المرحلة ظهرت المحاولات الأدبية لأول مرة مثل محاولات محمد ولد الشيخ وابن الشريف وجسن خوجة

أما بعد 1950 فقد ظهرت كوكبة أخرى وتعرف علي نتائجها الشعري والنثري على السواء العالم بأسره لأسباب عديدة وفي مقدمتهم محمد ديب وكاتب ياسين ومالك حداد ومولود فرعون ومولود معمري ومالك بن نبي ومصطفى الأشرف وعمار أوزقان وغيرهم .

هناك تصور آخر تحدث عنه الباحث أحمد منور في كتابه الأدب الجزائري باللسان الفرنسي حيث يرى أن الأدب الجزائري عموماً مر بأربعة مراحل رئيسية على الأقل هي كالتالي:

- مرحلة ما بين الحربين العالميتين 1917 و 1945.

- مرحلة ما بين نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة الكبرى 1954.

- مرحلة الثورة حتى الاستقلال 1962.

- مرحلة أخيرة تبدأ باستقلال الجزائر.

مادام الأدب مرآة للعصر ومترجماً للآحداث ومعبراً عن مشاعر أفراد المجتمع كما يقول أكثر الباحثين، فإن المتفحص لدواوين الشعراء يدرك أن كل مرحلة متميزة عن غيرها؛ فقد تميزت الأولى – حسب أحمد منور - بالتعثر فنياً والتذبذب سياسياً، أما الثانية فقد ظهرت فيها علامات القلق والحيرة على أدبائها، وتميزت الثالثة بانقشاع في غيوم الشك لدى شعراء المرحلة وتوضحت رؤاهم حول مسألة الوطن وذلك بدعمهم للمقاومة المسلحة، أما الأخيرة فطغى عليها طابع الاختلاف والتنوع في تلك الرؤى؛ رؤية الواقع والمستقبل .

أشار الباحث أحمد منور في هامش صفحة 127 من كتابه الأدب الجزائري باللسان الفرنسي إلى نظرة الأديب البير كامى للأدب الجزائري ولخصها بقوله: " تتفق هذه المراحل إلى حد كبير مع المراحل التي ذكرها فرانس فانون في كتابه معذبو الأرض بخصوص تطور وعي الأفارقة كما يتجلى من خلال إنتاج الكتاب المستعمرين باستثناء المرحلة الرابعة التي واكبت مرحلة الاستقلال الوطني التي لم

يُتنبأ بها فانون ولم تمهله الأيام لكي يلاحظها في الواقع" يبدو لي أن حقيقة أدب شمال إفريقيا المكتوب بالفرنسية وبعد أن نالت هذه الدول استقلالها لم ينقرض أوحكم عليه بالموت كما عبر عن ذلك الباحث ألبير ميمي أثناء معالجته للأدب المرتبط بلغات الدول الأوروبية عموماً، ومن ذلك الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، قال: "إن أدب المستعمرين باللغات الأوروبية محكوم عليه فيما يبدو بالموت في سن مبكرة"، إنما عرف هذا الأدب عموماً في تونس والمغرب والجزائر مرحلة ضعف وذلك مباشرة بعد الاستقلال لكنه عاد من جديد بقوة إلى الساحة الثقافية.

بداية كتابة الشعر باللسان الفرنسي

انطلاقاً من رؤية أبي القاسم سعد الله التي تدرج الأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي ضمن التراث الجزائري الخاص بمرحلة محدودة وشاذة من مراحل تاريخ الجزائر، حيث يقول: "دراسة هذا الأدب غير داخلية في مخطط الكتاب وإنما نتعرض له باعتباره جزءاً من التراث الجزائري خلال مرحلة معينة وشاذة"، فإن لهذا الأدب بداية انطلاق وأهدافاً مسطرة على الأقل، وقبل أن نتطرق إلى هذا الشعر يحسن بنا أن نقدم ملاحظات هامة سيستفيد منها الطالب لا محالة وهي:

- لا بد من أن يعرف الطالب أن للثقافة الجزائرية مكانة قبيل الاحتلال الفرنسي ولا يصح قبول اعتقاد أن الشعب الجزائري كان أمياً وإنما الاستعمار هو الذي جاءه بالثقافة والعلم مع أن ذلك خطأ محض.

- من المؤكد أن الاحتلال الفرنسي كان بالنسبة للجزائريين مصدراً لكل حدث مأساوي على جميع الأصعدة ومنها الصعيد الثقافي، وقد ظلت حياتهم طيلة المدة التي قضاها المحتل تتسم بالاضطراب والعنف واليأس.

- ولدت الأحداث المأساوية التي أشرنا إليها ردود فعل على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية.

- جاءت المدرسة الفرنسية رغم محدودية تواجدها في المدن المحتلة لمحاولة تجريد الشعب الجزائري من انتماؤه الحضاري بحيث أن همها الوحيد كان باتفاق الباحثين هو إفساد العقيدة ومسح التاريخ واللغة العربية.

- حسب المؤرخ رأي أبي القاسم سعد الله في الشعر الجزائري باللسان الفرنسي أنه "لا نعلم أنهم (شعراء الجزائر باللسان الفرنسي) أنتجوا شعراً بالفرنسية قبل الأربعينات إلا نادراً"، إلا أن المؤرخ الفرنسي جان ديغو يرجع أول مجموعة شعرية كُتبت بالفرنسية كانت على يدي الشاعر سالم القبي عام 1917 بعنوان:

حكايات وقصائد من الإسلام ومجموعة أخرى بعنوان: أنداء مشرقية ، ليأتي بعد ذلك الشاعر موهوب عمروش بديوان: رماذ 1934 وديوان: أغاني بربر القبائل عام 1937، وديوان: مالك حداد عام 1956 بديوان: الشقاء في خطر، وبعد ذلك ديوانه الثاني بعنوان: أسمعني أناديك عام 1961.

- هناك ملاحظة هامة لا بد من أن تؤخذ بعين الاعتبار وهي: أن بعض الآثار تشير إلى أن شعراء جزائريين كتبوا أشعارا باللغة الفرنسية في شتى المراحل لكنها " لم تصل درجة الإبداع بالفرنسية كما حدث للقصة والرواية".

- تشير بعض الآثار في جرائد الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الأولى إلى أن أدباء جزائريين قاموا بترجم بعض القصائد الفرنسية إلى اللغة العربية.

- يركز الباحثون في مناقشاتهم الأدبية على الشعر فضلا عن الرواية والمسرحية، لذلك نجد حديثهم يطول بتركيز شديد على مكانة الشعر في المجتمع الجزائري، يقول عبد الله الركبي: " على أن الملاحظ عندما يتعرضون لمناقشة هذا الأدب، إنما تنصب عنايتهم بالدرجة الأولى على الرواية والشعر والمسرحية ويغفلون الحديث عن القصة القصيرة بالفرنسية"

- لم ينتج شعراء الجزائر الكثير من الدواوين بين الحربين العالميتين، لكنه تطور نتاجهم بعد ذلك " عدد محدود من العناوين لا تزيد في مجموعها عن عشرة ما بين أعمال روائية وشعرية، ثم راح العدد يزداد باضطراد بحيث نشر حسب إحصاء للسيد جان ديجو في الفترة ما بين سنة 1945 و 1962 ما مقداره 86 عملا موزعا على النحو التالي: 32 رواية، و 40 مجموعة شعرية و 12 مسرحية ومجموعتان قصصيتان، وفي فترة مساوية للفترة المذكورة أي بين ما بين 1962 و 1978 نشر 184 موزعة كالتالي: 44 رواية و108 مجموعة شعرية، و20 مسرحية و 12 مجموعة قصصية ... سجل تراجع كبير في مجال الشعر والمسرحية والقصة القصيرة ابتداء من منتصف الثمانينات قد يصل إلى درجة الصفر في بعض السنوات بالنسبة إلى الشعر " .

صحيح أن الباحثين أشاروا إلى عام 1917 وعدّوها بداية للشعر الجزائري باللغة الفرنسية وذلك بإصدار الشاعر سالم القبي لديوانيه كما أوردنا ذلك قبل: ديوان حكايات وقصائد من الإسلام وديوان أنداء مشرقية، إلا أنه بسبب غياب هذين

من هو موهوب عمروش؟

تعتبر أشعار الشاعر موهوب عمروش بداية للشعر الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية حسب ما جاء في مقدمة ديوان الياسمين المجروح لعبد المجيد كواح، وأن لأشعاره مسحة للمحافظة على الأصالة الجزائرية.

فعمروش كاتب وشاعر وروائي من أصول قبائلية، ولد بقرية إغيل علي إحدى بلديات بجاية عام 1906، من أسرة تحولت بفعل التبشير المسيحي إلى الديانة المسيحية.

سماه أحد الآباء البيض الشاعر موهوب باسم "جون" واشتهر بعد ذلك في الوسط الثقافي والإعلامي العربي والفرنسي بالشاعر جون عمروش، وتوفي بعد حياة عطاء أدبي وسياسي وسيرة حافلة عام 1962، لقد ترك مؤلفات متعددة منها:

- ديوان رماد 1934.

- ديوان أغاني بربر القبائل عام 1937.

- نجمة خفية عام 1937.

- النصف الأول من القرن العشرين.

نجد في ديوان الشاعر الجزائري عمروش "رماد" عناوين القصائد الآتية:

كلما بحثت عن صوتي، سمعت همس شفتيك المطبقتين، صوتك القادم من خلف الظلمة، من سيحمل صوتي اليافع في أغنياتي، صوت الأجل، أنوح منذ القدم في جسد امرأة.

وفي ديوان نجمة خفية:

كلمات تصدح بداخلي، ومن ينبئني بقدر كلمات المجهول ومن ينبئني برسالتي، وهل تعرف أبي وأمي وهل تدلني على طريق الوطن؟ أنا من دون أب ولا أم أنال يتيم الوطن، أنا لست من هذا البلد لست من هذا العالم، وكلماتي الغربية، ومن ذا الذي يتحدث بداخلي غير جسدي النائم، وجع المنفى الأزلي.

ما يلاحظ على عناوين قصائد عمروش في الديواوين: ديوان رماد 1934 و نجمة خفية عام 1937، أن في الديوان الأول حديثا عن الأصالة ومعالم الهوية المتعددة، أما الثاني فالحديث فيه عن الصراعات السيكولوجية الدفينة أو الشعور بالمنفى الداخلي والغموض في الرؤية الحضارية للإنسان الجزائري عموما والشاعر عمروش بالأخص.

وكتب الشاعر موهوب (جون) عمروش عام 1946 مقالا بعنوان " يوغرطا الخالد" ليبين للعالم انتماءه الراسخ لأرض الأمازيغ التي هي جزء من هويته، ولم يكن الشاعر عمروش شاعرا فحسب بل كان – أيضا- مديعا ناجحا، حيث عرفته الإذاعة الجزائرية(الخاضعة للاحتلال) بين عام 1938 وعام 1958 في بعض البرامج، وكان يتنقل بين محطات إذاعية تبث برامجها من تونس والجزائر وفرنسا، حيث اشتهر بقدرته على مجابهة خصومه حين محاورته لهم سواء في مجال الأدب أو في مجال النقد، لقد قال عنه الشاعر الفرنسي فرنسوا مورياك صاحب نوبل للآداب عام 1952: " عمروش يعرف أعماله أفضل مني".

لا ننسى أن الشاعر عمروش قد تميز في الساحة الأدبية والسياسية ببعض الأقوال المعبرة عن شخصيته الجزائرية منها: "فرنسا هي عقل روجي والجزائر روح عقلي".

ومن أجمل قصائده تلك التي عنونها بـ: معركة الجزائر، قال فيها:

إلى ذلك الإنسان الفقير جدا

إلى ذلك الذي سيعيش نصف وجوده تحت الشمس

وفي الريح

وفي المطر

أو تحت الثلج

إلى ذاك الذي منذ ولادته لم يشبع يوما

ونحن لن نقبل أبدا أن ننتهي في المنفى

وفي ماض بلا ذكريات

وبلا مستقبل هنا والآن

نريد أن نكون أحرارا وإلى الأبد تحت الشمس

في الريح

في المطر أو تحت الثلج

وأرضنا هي الجزائر.

من رواد الشعر الجزائري بالفرنسية

الشاعر جان سيناك (1926 - 1973)

شاعر جزائري من مدينة بني صاف في الغرب الجزائري، امتهن التدريس والصحافة وفي الإذاعة له أعمال أدبية تزيد عن عشرة معظمها دواوين شعرية.

الشاعر هنري كريا

ولد الشاعر هنري كريا عام 1913 من أم جزائرية وأب فرنسي، واسمه الحقيقي كوشان، كما يدعى هنري شريعة لأنه نحت اسمه من اسم جبل شريعة في أعالي البلدة، له دواوين شعرية تزيد عن خمسة عشر ديوانا، كما أسهم في الأدب بإبداع في المسرح والرواية والمقالة.

نور الدين عبا: شاعر جزائري

عاش الشاعر نور الدين (1921 – 1996) في مدينة سطيف طفولة حزينة حسب ما أشار إلى ذلك في سيرته الذاتية *Le chant perdu au pays retrouvé* (1978) حيث قال: (حسدت الأطفال في بعض أنحاء العالم الذين عاشوا طفولتهم يلهون مع الفراشات)، وكما تشير الآثار فإن الشاعر سافر إلى الجزائر العاصمة الجزائرية وانضم- إلى طلاب جامعتها في تخصص القانون لمدة سنة واحدة، وعمل بعد ذلك أستاذا محاضرا بجامعة فرنسية، وشغل عضواً بأكاديمية العلوم الدولية والثقافات العالمية، كما تم تعيينه بالمجلس الأعلى للفرانكوفونية من قبل الرئيس الفرنسي فرانسوا ميثيران، توفي عام 1996، بعد أن أسس عام 1990 جائزة للكتاب الجزائريين تسمى: جائزة نور الدين أبا السنوية للكتاب

له مجموعة شعرية بعنوان:

فجر الحب عام 1941 *L'Aube de l'amour*.

غزال في الصباح الباكر 1978 *Gazelle au petit matin*

غزال بعد منتصف الليل 1979 *Gazelle après minuit*

له أيضا مسرحيات منها:

- صمت تل الزعتر عند الغروب 1981

- البشارة لماركو 1983

نال جوائز لإسهامه في الكتابة الأدبية منها:

- جائزة أفريقيا المتوسطة لشعره عام 1979 .

- جائزة "Prix Charles Oulmont" عام 1985 من مؤسسة فرنسا لمساهمته في الأدب.

- جائزة فلسطين بمسرحيته تل الزعتر عام 1981.

جمال عمراني

الشاعر والروائي جمال عمراني من مدينة سور الغزلان ومن مواليد 1935 تعلم بالمدرسة الابتدائية ثم بالثانوية ببنر مراد راييس الجماعية، وفي عام 1956 شارك في إضراب الطلبة الجزائريين المشهور الذي دعت إليه جبهة التحرير الوطني لكنه اعتقل وعذب، وبعد إطلاق سراحه سافر إلى فرنسا واستقر بها، تحصل على وسام بابلو نيرودا للشعر سنة 2004 وهي جائزة دولية رفيعة المستوى نالها جمال عمراني وتسلمهما من يد سفير دولة الشيلي بالجزائر.

توفي جمال عمراني يوم 02 مارس 2005 ودفن بعيدا عن مسقط رأسه

صدر أول كتاب له بعنوان: الشاهد عام 1960.

ثم صدرت له مجموعة شعرية عنوانها:

- إقامة مؤقتة في اليقين

- الغروب الأخير

- الصيف في جلدتك

- في إتجاه المنبع.

لقد علق الكاتب علي شرارك عن مجموعة جمال عمراني الشعرية بقوله: "كلها ثمار عبقرى يدعى جمال عمراني"

من قصائده التي وصفت مدينة سور الغزلان مسقط رأسه، ترجمة محمد عاطف بريكي:

هنا حيث رياحين العنبر والزعرور

إنبجست رغباتي الأولى في فجاءة

بعيدة عن الحياة المعتمدة حتى مع الغزلان

هنالك في السور ينبجس الفجر بين العليق

سور الغزلان، نذرت العودة إليك يوماً

فطالما خرج منك رجال صناديد

حتى أني بها تمنح للوقت رونقا

و تدافع عن المعجزات

فهي من لقتني معنى السلام

و كيف أقهر ألامى.

كاتب ياسين

ولد الشاعر كاتب ياسين عام 1929 بقسنطينة وبلدة "سمندو" قسنطينة كان والده محامياً، تزوج من زبيدة شرغي، سمي ابنه الأكبر "أمازيغ"، بدأ تنظيم الشعر وهو في الثامنة من عمره، وتعرف على شعراء فنسيين بعدما انتقل إلى مدينة سطيف للدراسة في المدرسة الفرنسية، وهناك انضم إلى المنتفضين ضد الاحتلال الفرنسي الذي تنكر للجزائريين عام 1945 بإعطائهم الاستقلال، لقد اعتقل بعد هذه الانتفاضة وأدخل السجن وطرده من المدرسة، وبعد خروجه من السجن راح يتجول في الجزائر وصرائها ويكتب الشعر.

حظي كاتب ياسين بشهرة عربية وعالمية، لقب بنبي العصيان والثوري المتمرد، وهو من بين الأدباء الأكثر إثارة للجدل في الجزائر، من أشهر أعماله رواية "نجمة" التي ترجمت لعدة لغات عالمية.

نشرت أول مجموعته الشعرية بعنوان "مناجاة" عام 1946.

انضم إلى صفوف بالحزب الشيوعي الجزائري سنة 1947 الشيء الذي مكنه من زيارة الاتحاد السوفيتي عام 1951، بعد مغادرته الجزائر باتجاه فرنسا بين العام 1948 و1951 عمل مراسلاً لصحيفة "الجزائر الجمهورية" Alger Republican التي أسسها الكاتب الفرنسي ألبيير كامى Albert Camus.

هجر الكتابة باللغة الفرنسية بعد عودته إلى الجزائر سنة 1970، ثم أسس فرقة مسرحية جابت مدنا جزائرية وعواصم أوروبية وبها قُدمت ما ألفه من مسرحيات

وعلى خشباتها كان يردد: "كما تمرّدت على الجزائر الفرنسية أتمرّد على الجزائر العربية المسلمة، أنا لست عربياً ولا مسلماً، أنا جزائري"، وكانت أشهر مسرحياته "الجثة المطوقة" التي جسّدت معاناة الجزائريين، وقد أثارت ضجة في الأوساط الثقافية الفرنسية عند صدورها.

بالإضافة إلى الشعر فقد كتب كاتب ياسين روايات ومسرحيات ضدّ الاحتلال الفرنسي للجزائر ودفاعاً عن قضية وطنه، وحاز على عدد من الجوائز الأدبية، وبينها:

- جائزة جان عمروش في فلورنسا سنة 1963.

- وجائزة لوتس سنة 1975.

كما حاز على الجائزة الوطنية الكبرى للأدب في باريس.

توفي في 28/10/1989 عن عمر يناهز الستين عاماً في مدينة غرينوبل الفرنسية جراء سرطان الدم، وقد وزع أتباعه -كما زعموا - وصيته التي أوصى من خلالها بعدم تغسيله وتكفينه والصلاة عليه وعدم دفنه في مقابر المسلمين.

من مؤلفاته الشعرية

مناجاة 1946.

قصائد إلى الجزائر المضطهدة 1948.

مئة ألف عذراء 1958.

تحت صرخات الديكة 1956.

الجد المسافر أبريل 62

العودة الحقيقية افريل 63

المسيرة الطويلة مارس 1970

الشاعر مصور بولنوار أخبار اليوم نشر في أخبار اليوم يوم 15 - 11 - 2015

من الشعراء الذين وظفوا أقلامهم في ذودهم عن وطنهم لكنهم بعد استقلال نكرة مصور بولنوار الذي ولد بمدينة البويرة، ويُعد هذا الشاعر صديقا لشاعرين مهمين مشهورين: كاتب ياسين وجان سيناك.

واكب الشاعر مصور الحقبة الاستعمارية وحرب التحرير الوطني وناضل بقلمه الذي سبب له متاعب جمة منها السجن عدّة أشهر في سنتي 1956 و1957 بسجن سركاڭي (بربروس سابقا).

أخبر الأديب طاهر جاووت أن الشاعر مصور ألف قصيدة طويلة مؤلفة من ألف بيت 1000 بدأ كتابتها في السجن عام 1956 وأنهاها عام 1960 يقول طاهر جاووت: (هي عبارة عن نظرية تختزل عالم المآسي والمعاناة وصورة عاكسة لآلام تخبّط شعب بكامله داخلها).

من دواوينه:

- ديوان: (meilleure La force-1956-1960) الصادر سنة 1963 بباريس عن منشورات (Scorpion).

- مسرحية إذاعية (Coup de fouet) بالجزائر سنة 1966

- ديوان و (Mon paysd est partout où l homme de redresse) الصادر سنة 1977.

توفي الشاعر بمسقط رأسه عام 2015

أنا غريكا

شاعرة تعتبر نفسها جزائرية حملت اسما مستعارا هو: أنا غريكا، واسمها الحقيقي: كوليت أنا جرجوري، والحقيقة هي أنها من أصل فرنسي تزوجت من جزائري، ولدت بمدينة باتنة عام 1931 ترعرعت بين قرى جبال الأوراس، ومن أسرة امتزجت أصولها مع المجتمع الجزائري حيث كان أفرادها يمتهنون مهنة التعليم الابتدائي بقرى مدينة باتنة، فالشاعرة فهي ابنة معلم اشتهرت منذ صباها بكراهيتها للظلم والتمييز العنصري، سافرت إلى فرنسا والتحقت بإحدى جامعات مدينة باريس لكنها سرعان ما عادت لكي تنخرط في صفوف الحزب الشيوعي الجزائري عام 1955 تحت شعار من أجل المساواة في حقوق المرأة، ألقى القبض عليها عام 1957 وأدخلت سجن سركاڭي.

تزوجت الشاعرة من رجل جزائري عام 1960، وامتتهنت كأفراد عائلتها مهنة التعليم، وتوفيت عام 1965.

من أشهر أقوالها: (وُلدت طفولتي ومسراتي في "منعة" ، تلك الكوميون الصلد، الذي لم أجن منه سوى شغفي بعد عشرين سنة من العيش به، فكل شيء لمس روعي

في هذا العالم نتج عن كتله الصخرية المشار إليها على الخرائط باللونين الأحمر والوردي).

نشرت أنا جريكي مجلدا واحدا خلال حياتها بعنوان: "الجزائر عاصمة الجزائر"، نشر بتونس 1963 وكتب مقدمة هذا العمل الأستاذ مصطفى الاشراف.

بعض عناوين قصائدها

وراء جدران مغلقة مثل قبضة يد

خلال قضبان محوط بالشمس

افكارنا عمودية...

أضمك إلي صدري يا اختي

بانية الحرية والحنان

اقول لك انتظري الغد

فنحن نعرف

المستقبل قريب

المستقبل هو للغد.

بشير حاج علي (1920-1991)

يعدُّ بشير حاج علي من شعراء الجزائر الذين لهم بصماتهم في الساحة الثقافية الجزائرية باللغة الفرنسية، تعددت نشاطاته فهو إلى جانب كونه مجاهد في صفوف جيش التحرير الوطني فهو ينتمي إلى التيار اليساري (الحزب الشيوعي الجزائري) من حيث النضال، فضلا عن شهرته كعالم في فن الموسيقى، كان ملتزما بقضية العدالة والدفاع عن الجزائر الذي رآه من 1945 ملكا للجميع، تولى مسؤولية أمانة الحزب عام 1951 خليفة لعمر أوزقان.

كون مع المؤرخ محمد حربي والحقوقي حسين زهوان منظمة سميت بـ منظمة المقاومة الشعبية بعد انقلاب هواري بومدين على الرئيس بن بلة، اعتقلته السلطات الأمنية وظل مسجوناً إلى غاية 1968 وبقي بعدها قيد الإقامة الجبرية إلى سنة 1974.

ألف كتابا في السجن عنونه بـ التعسف (l'Arbitraire) سجل فيه تفاصيل سجنه والتعذيب الذي لقيه من جزائريين، ويعدّ الكتاب شاهداً على التعذيب الذي مارسه جزائريون ضدّ جزائريين عادة الاستقلال.

للشاعر إصدار آخر ومجموعة قصائد؛ يتمثل الإصدار في كتاب بعنوان: شعبنا سينتصر (1960)، أما القصائد النضالية فقد جمعها في كتاب عنوانه: نشيد للحادي عشر ديسمبر، ومنه هذه القصيدة بعنوان زنزانتي تتحدث، يقول:

"زنزانتي تتحدّث

تقوم زنزانتي بمحاسبتها السنوية

تقتل البراغيث عند ولادتها

تُبقي الجراح مفتوحة

تُهدد الانتحار المقترح عن بعد

وتصلّي على جُثثٍ لم تُدفن

تنحني تحت وطأة الأمل الكبير

فعروق الثورة تحفر جدرانها الضيقة".

في قصيدةٍ أخرى بعنوان "القسم الثاني" ذُيِّلت بتاريخ كتابتها في أكتوبر 1965، يروي كيف اضطرته الظروف إلى الإدلاء بقسم مرّةٍ أخرى:

"أقسم بليالي سبتمبر المشوّهة

أقسم بدموع وآهات المعدّيين

أقسم بالأجساد الممزّقة والقلوب الباكية

أقسم بياس الأبطال المُفنت

أقسم بالفخر الذي نجا من المذابح

أقسم بالسكوت المُنجي، وبالخوف من الموت

أقسم بندم من تكلموا

أقسم بأرواح ماتت بعد الخيانة

أقسم ببذاءة الجلّادين

أقسم بالاشمئزاز من البرجوازية الصغرى

أقسم بقلق الزوجات المضاعف

أننا سنحظر التعذيب

ولن يُعذّب الجلّادون".

تحوي قائمة أعلام الأدب الجزائري باللغة الفرنسية أسماء كثيرة منها من تعرف عليه الشعب الجزائري بعد الاستقلال ومنهم من بقي اسمه معروفا لدى الطبقة الميقتة الضيقة وإليك بعض الأسماء:

- محمد ديب

- بوعلام صلصال

- مولود معمري

- عائشة لميس

- مراد بربون

المحاضرة الرابعة

الشعر الجزائري باللغة الفرنسية ؛ موضوعاته

يصعب على الدارس في محاضرة واحدة أن يستنبط موضوعات القصائد التي تضمنتها دواوين شعراء الجزائر باللغة الفرنسية؛ سواء لكثرتها أو لتعدد توجهات أصحابها، لذلك يحسن بنا أن نأخذ أكثر هؤلاء الشعراء شهرة، ونبسّط الكلام في أحد دواوينه، ومن خلال ذلك يمكن التطرق إلى الموضوعات المشتركة بين أغلب هؤلاء الشعراء.

نشير إلى أن الكثير من الباحثين حالت دونهم عقبة خلو الساحة الثقافية من الأعمال الفنية لشعراء الجزائر باللغة الفرنسية سواء كانت مترجمة إلى اللغة العربية أو بلغة إصدارها، وذلك لأسباب عديدة ليس هذا مجال الحديث عنها، كما نشير إلى أن ثلّة من الباحثين حاولت - من دواوين هؤلاء الشعراء- قراءة عدة مشاهد للجزائر سواء وهي تقاوم المحتل الفرنسي أو هي تقوم ببناء مجتمعها الجديد ثقافيا أو سياسيا أو اجتماعيا.

اعتبر جل الباحثين فئة أدباء الجزائر التي أصدرت نتاجا إبداعيا باللسان الفرنسي، خريجة مدرسة الجزائر للأدب الفرنسي، " لأن النقاد الفرنسيين كانوا يتحدثون عنهم في شيء من الاعتزاز أحيانا باعتبار أدبهم ما هو إلا نتاج " مدرسة الجزائر " الأدبية

الفرنسية¹، غير أن باحثين آخرين كتبوا مقالات في دوريات عديدة داخل الوطن وخارجه وأبدوا اهتماما بالغاً بما كتبه هؤلاء الشعراء كما تعاطفوا معهم تعاطفا كبيرا حيث انهالوا على نتاجهم الأدبي " ترجمة وتعريفا وتنويها بأصحابه الذين كانوا يدافعون عن قضية بلادهم بالقلم لا بالسلاح وبالكلية لا بالبندقية وبالحوار لا بالعراك، وبصوت المستضعفين لا صوت الثوار الأقوياء وصوت التسامح والحيرة لا صوت الصمود والثقة في النفس"².

هذه الثلة التي نتحدث عنها ازدادت شهرتها لكثرة ما تحدثت عن روادها الإعلام الفرنسي أو مثقفو الوطن العربي الذين كانوا يجهلون أن بالجزائر أدباء وشعراء باللغة العربية فضلا عن ضررتها الفرنسية، " حين اكتشف مثقفو الوطن العربي أن في الجزائر عربا يكتبون أدبهم باللغة الفرنسية فاهتموا بهم وما كادوا يصدقون ... وكان الإعلام الفرنسي يسلط الأضواء على مبدعي الأدب الفرنسي في الجزائر معتبرا بعضهم دليلا على نجاح مهمة فرنسا الحضارية التي كانت عنوانها احتلال للجزائر"³.

في مقدمة هذه الفئة من الجزائريين أصحاب اللسان الفرنسي؛ الشاعر مالك حداد وقد سبق أن عرفنا به وبديوانيه " الشقاء في خطر وأسمعي أناديك"، وبالنسبة لأول ديوان للشاعر كان بعنوان: الشقاء في خطر الصادر بباريس (فرنسا).

من الكتاب الذين تحدثوا عن ديوان الشاعر مالك حداد الشقاء في خطر الطاهر لعروسي في كتابه أعلام من الأدب الجزائري، يقول عنه: " من يتأمل في العنوان يلاحظ تشاؤم الكاتب من مرارة الواقع، فما معنى أن يكون الشقاء غير الخطر والمأساة؟ أو لا يكون في خطر إنها سخرة مالك حداد من قدره وقدر أبناء وطنه، سخرية من القادمين لتمدين الشعب الجزائري بالعنف والرصاص واستعمارهم كليا، ماديا ومعنويا وثقافيا، أرضا ولغة ورسالة، فمال حداد كغيره من الكتاب الجزائريين الذين ولدوا في منطقة الشرق الجزائري لم ينس أحداث مايو 1945 حيث شاهد فرنسا تحتفل باستقلال بلدها وتقتل الأبرياء في الجزائر، أكثر من 45 ألف شهيد دون أن تفرق بين طفل وامرأة وشيخ"⁴، كأن الطاهر لعروسي يشير إلى دوافع تأليف مالك حداد لديوانه وغيره من شعراء الجزائر، ومنه فإن مضمون الديوان هو: الدفع بمتقفي الأمة الجزائرية إلى إيجاد سبل مقاومة المحتل الفرنسي حتى لا ينضموا للمتفرجين الذين قبلوا بالضميم والمذلة" غير أن هذه الكارثة أدت في الوقت نفسه إلى بلورة الفكر النضالي التحرري وترسيخه ليس لدى السياسيين فحسب بل لدى الناس البسطاء كافة وفي ضمير الأمة أي المثقفين الذين تكشف لهم أساليب المستعمر ومصيرهم هم أن ارتضوا هذه المهانات وهذا الدمار والتزموا الصمت"⁵.

وفي موطن آخر ومن الكتاب نفسه أشار لعروسي إلى مضمون التغني بالمقاومة قائلا: " تغنى فيه بالمقاومة الوطنية ... وأشعار مالك حداد تعبر عن الجزائر وهي

تخوض حرب التحرير وتكافح من أجل الحرية⁶، أما الباحث أحمد منور فقد كان أكثر صراحة ووضوحاً حيث وصف الديوان وصاحبه قائلاً: "وبإصدار حداد لديوانه الأول الشقاء في خطر (1956) يكون هذا الشاعر قد أعطى للشعر المنظوم بالفرنسية من قبل الجزائريين دوراً رائداً ومتميزاً في التغني بالثورة والتحرير على مقاومة المستعمر بالكلمة الشعرية المعبرة والمؤثرة"⁷، وإذا حكم أحمد منور في وصف الديوان فإن الأعمال الفنية الجزائرية قبل هذه السنة كانت توصف بأنها خجولة تواجه المحتل بطريقة غير مباشرة أو من بعيد وأقل وخزاً. وعموماً فإن خصائص الشعر الجزائري المكتوب بالفرنسية هي:

- الحديث عن الغربية
- تعرية الاحتلال الفرنسي وكشف معاناة الجزائريين من الأوضاع المزيفة التي يعيشونها
- مسألة الاغتراب
- مسألة القومية.
- التشبث بالأمل في الاستقلال
- الدعوة إلى توحيد أفراد المجتمع الجزائري أما المعيشة الضنكى